# أساليب الدعوة إلى الله تعالى

إعداد

الدكتــــور
**سعيد محمد اسماعيل الصاوى**
أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية
بطنطا

١٩٩٤م

الحمد لله رب العالمين ٠ والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين٠ سيدنا محمد ٠ وعلى الله وصحبه أجمعين ٠

أما بعد

فإن دين الله تعالى من لدن آدم و إلى ما شاء الله تعالى هو الإسلام { إن الدين عند الله الإسلام } (١)٠ { ومن يبتغى غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين }(٢)٠

والإسلام هو دين الفطرة التي فطر الله عليها الناس جميعا ، { فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون }(٣)٠

وهذا الدين الإسلامي هو الحياة والنجاة لكل من يلتزم به { يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحيكم } (٤)٠

ولا حياة لدين – أى دين – ولا لمبدأ – أى مبدأ – إلا بالدعوة إليه ( فما قام دين من الأديان ، ولا انتشر مذهب من المذاهب ، ولا ثبت مبدأ من المبادئ إلا بالدعوة ، وما تداعت أركان ملة بعد قيامها ، ولا درست رسوم طريقة بعد ارتفاع أعلامها ، ولا تلاشت نزعة من النزعات بعد إحكامها ، إلا بترك

---

١ سورة آل عمران آية ١٩ ٠

٢ سورة آل عمران آية ٨٥ ٠

٣ سورة الروم آية ٣٠ ٠

٤ سورة الأنفال آية ٢٤ ٠

الدعوة ، فالدعوة حياة كل أمر تدعى إليه الأمم والشعوب ، سواء أكان ذلك الأمر حقاً أم باطلاً ([1]) ٠

وهكذا تمثل الدعوة لدين ، أو لمبدأ ، شريان حياة ، وسر بقاء ، ومجال وجود وخلود ٠

إلا أن بعض الناس يرون أن الدعوة لدين تكون بالكلام فقط ٠ ممثلا في:-

الحكمة ،والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي أحسن ٠

والبعض يرى أن الدعوة تكون بالقوة بعد استنفاذ الجهد بالدعوة الكلامية ٠

فهل تقر الدعوة الإسلامية أسلوب القوة كمنهج من مناهجها ؟

وإذا كانت تقره فلمن يكون حق استخدام هذا المنهج ؟! ومتى يستخدمه ؟! وما المقدار الذى يتحقق به منهج القوة ؟! وهل ما يُرى ويُسْمعُ في العصر الحديث عن أحداث العنف والإرهاب العالمية والمحلية يعبر عن منهج القوة في الإسلام ؟!

من أجل هذا كله كان هذا البحث عن :-

## ﴿ أساليب الدعوة إلى الله تعالى ﴾

وقد بدأتُ هذا البحث بالحديث عن قول النبى ﷺ " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان " ([2]) ٠

وبينتُ أن هذا الحديث الشريف تدرج بوسائل الدعوة تدرجاً تنازلياً من الأقوى إلى الأضعف على قدر سلطة الداعية تجاه المدعو ٠

---

[1] هداية المرشدين : الشيخ على محفوظ صـ ١٤ ٠

[2] صحيح مسلم : كتاب الإيمان جـ٢ صـ ٢٤ ٠

وانطلاقاً من أن القلب هو الأساس لكل أعضاء الجسد ، فقد تدرجتُ في حديثي عن هذا الحديث الشريف تدرجاً تصاعدياً من الأضعف إلى الأقوى ٠ فبينتُ أن الداعية أيا كانت سلطته تجاه المدعو ، يبدأ من قلبه أولاً ، فإذا ما تأثر قلب الداعية ، تحدث لسانه ، وتحركت يداه ، وإذا لم يتأثر القلب بالدعوة ، فلا يتكلم اللسان ولا تتحرك اليد ٠

## الدعوة قول وعمل

الدعوة القولية هي توجيه المدعو نحو أمر من الأمور بالقول مجرداً عن العمل، ، وهي ما يعبر عنها بالدعوة اللسانية أو النظرية ، كقولنا : افعل الخير ، أو لا تفعل الشر ٠

الدعوة العملية : هي توجيه المدعو نحو أمر من الأمور ، بالعمل والسلوك ، أو القدوة ٠ سواء أكان مقرونا بالقول ، كقولنا : افعل الخير كفعلي ، أو لا تفعل الشر كفعل فلان ٠

أم مجرداً عن القول : وهو ما يعبر عنه بالدعوة الصامتة ، أي الدعوة بالسمة والهيئة والسلوك ويشير إلى هذا كله :

ما رواه الإمام مسلم بسنده عن أبى سعيد الخدري ﷺ قال : " سمعت رسول الله ﷺ يقول :" من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان " ([1])٠

وهذا الحديث الشريف يشتمل على :-

**أولا:** بيان ثلاث وسائل من وسائل الدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ([2])٠ وهي اليد – القوة – واللسان والقلب ٠

---

[1] صحيح مسلم : كتاب الإيمان باب وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر جـ٢ صـ ٢٤ ٠
[2] إشارة إلى قوله تعالى ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ سورة آل عمران آية ١٠٤ ٠

**ثانيا :** أن هذه الوسائل لم تكن أنواعاً • لثلاثة أنواع من الناس – كما يظن البعض – هم الحكام ، والعلماء ، والعامة •

وإنما هي وسائل لكل من يستطيع تطبيق أيَّها • في حدود مقدرته وسلطته،

**ثالثا :** أن الدعوة إلى الله تعالى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، هي مسؤلية الأمة الإسلامية كلها في كل زمان ومكان كُلٌّ على قدر استطاعته وثقافته •

## أ – الدعوة التلبية أو التغيير بالقلب :

يرى البعض أن التغيير بالقلب هو إنكار المنكر وكرهه ([1])•

متمثلاً في قول المنكر :– لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم – أو – إنا له وإنا إليه راجعون – أو – اللهم إن هذا منكر لا يرضيك – أو – مقاطعة مرتكب المنكر وعدم معاملته ([2])•

وأرى أن مثل هذا كله لا يعتبر تغييراً للمنكر ، ولا يؤثر فيه أدنى تأثير ، لأنها كلها أمور سلبية ، تؤدى إلى طغيان المنكر ، واستفحال خطره ، لعدم وجود من يواجهه مواجهة عملية إيجابية •

والحل العملي الإيجابي لتغيير المنكر بالقلب ، هو ما يسمى بالدعوة الصامتة ، أي الدعوة بالهيئة والسمة •

كأن يرى الداعية إنساناً دأبه البخل ، فيسخو ويجود أمامه في المشاريع الخيرية •

---

[1] شرح النووي على صحيح مسلم جـ٢ صـ ٢٥ •

[2] وإذا قيل إن المجتمع الإسلامي نجح في استعمال مقاطعة مرتكب المنكر أو المخالف عندما قاطع المتخلفين عن غزوة تبوك • أقول : يوم أن يكون المجتمع الإسلامي • بنفس صفات المجتمع الإسلامي يومها يطبق نفس الأسلوب تطبيقا حرفيا • أما المجتمع الإسلامي المعاصر • إذا استعمل فيه بعض الدعاة أو بعض المسلمين من غير الدعاة مقاطعة المخالفين أو مرتكبى المنكر • تجد البعض الآخر – وهم الأكثر يه – يوادونهم ويتحالفون معهم •

أو يرى إنساناً قاسياً جباراً ، أو فظاً غليظاً على الناس ، فيرحم الناس ويلاطفهم أمامه ٠

ولسان حاله يقول :

هذه هي المعاملة التى ينبغي أن يعامل بها الناس ، وهذا هو الفهم الأمثل – من وجهة نظري – للدعوة الصامتة ، أو تغيير المنكر بالقلب ٠

ولقوة تأثير الدعوة القلبية – الصامتة – في عقل وقلب المدعو ، التزم بها دعاة الباطل في كل زمان ومكان ٠ أكثر من غيرها ٠ من وسائل أو أساليب دعوية٠

فإذا ما دعوا إلى التبرج والعرى ، ظهرت نساؤهم أمام الناس في وسائل الإعلام وفي الطرقات متبرجات عاريات ، ولسان حالهن يقول : هكذا ينبغي أن يكون التحضر والمدنية ٠

وإذا ما دعوا إلى الفاحشة والمعاملة الخليعة بين الناس ٠ ظهروا أما الناس في الطرقات ، أو فى وسائل الإعلام بمختلف أنواعها ، أو في حفلات المجون والصخب ، في اختلاط مشين بين الرجال والنساء ، مصحوب بالنظرات المريبة والكلام اللين ، والقبلات الدنيئة ، والمعانقات الشيطانية ٠٠٠٠ إلخ ٠

ولسان حالهم يقول : هذه هي سبيل الحرية والتقدم ٠

وما لجأ دعاة الباطل إلى الدعوة الصامتة لترويج مبادئهم ٠ إلا لقوة تأثيرها في نفس المدعو ٠

فما على دعاة الحق والفضيلة من علماء الإسلام المخلصين ٠ إلا تجسيد الإنكار القلبي في عمل ظاهري ٠ تحوطه الحكمة من جميع جوانبه ٠

ولا أدل على ذلك من إنكار الحسن والحسين رضوان الله عليهما ، لوضوء الرجل المسيء وضوءه ([1])٠

فقد ترجما إنكارهماإلى فعل إيجابي كان له أكبر الأثر في توجيه الرجل لإحسان وضوئه بأسلوب حكيم إيجابي ٠

ب - الدعوة القولية . أو تغيير المنكر باللسان ٠

هذه الدعوة هي أن يعرض الداعية موضوعه بالكلمة في حدود ثقافته ومعلوماته ٠

ويخطئ من يقصر هذه الوسيلة على العلماء والمتخصصين فقط ، لأنه من سلطة أى إنسان يستطيع الكلام في أى جزئية في حدود ثقافته واستطاعته ٠

كالمصلى يستطيع أن يغير تارك الصلاة ، بدعوته إلى الصلاة ٠ في حدود معلوماته عن الصلاة ، وكذلك الصدوق ، والأمين ، والوفي ٠٠٠٠ إلخ ٠

بشرط أن يكون كلامه قائماً على منهج الله تعالى :-

{ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين } ([2])٠

**أ – الحكمة**

وهي تعنى أن الداعية يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ، أو يعرض موضوع دعوته ، في الوقت المناسب ، بالأسلوب المناسب ، والوسيلة المناسبة لمدعو ٠

ويتحصل الإنسان على الحكمة في الدعوة وفي كل شئونه بأمور من أهمها :-

---

[1] الحسن والحسين : أحمد الشهاوى صـ ١٨٤ ٠

[2] سورة النحل آية ١٢٥ ٠

١– التقوى والمراقبة لله تعالى في جميع أقواله وأفعاله • ظاهراً وباطناً ، لقوله تعالى { واتقوا الله ويعلمكم الله } – الآية ([1])•

٢– طلب الحكمة والبحث عنها في أى زمان ظهرت ، وفي أى مكان وجدت ، ومن أى إنسان خرجت •

لقول النبي ﷺ : " الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها " ([2])•

والضالة هي الشيء الذى يكون لإنسان فيفقده • ويظل يبحث عنه حتى يجده •

فهذا المجاز أبلغ ما عرف من نوعه في بيان ضرورة الحكمة للإنسان ، وأبلغ ما أثر عن البلغاء من عبارات الحث على طلبها •

( فإذا كانت الحكمة ضالة كل مؤمن • فكيف يغفل عن البحث عنها • في جميع مظانها • من بطون الكتب • أو من أساطير الأولين ، أو على ألسنة الناس كافة ، فإذا وجدها المؤمن وجب عليه أن يأخذها دون تردد ) ([3])•

ولا غرو • فإن طالب الأحسن من كل شئ • لايأنف أن يتصيده من جميع مظانه ، كطالب الذهب • لاتتقزز نفسه أن يبحث عنه خلال الطبقات الأرضية• مخلوطاً بغيره من المعادن الخسيسة • ويجتهد في استخلاصه منها ، وإبرازه إبرازاً خالصاً • لاتشوبه شائبة •

يفعل ذلك • لأنه يعلم أن الذهب ذهب حيث كان ، فلا يضع من قيمته أنه مخلوط بغيره ، ولا يجوز إهماله لهذا السبب •

---

[1] سورة البقرة من الآية ٢٨٢ •

[2] صحيح الترمذى كتاب العلم باب فضل الفقه على العبادة جـ٥ صـ ٤٩ •

[3] مهمة الإسلام في العالم : محمد فريد وجدي صـ ١٨٥ •

كذلك الحكمة ، قد تختلط عندالأمم المختلفة بشوائب من الأهواء والأوهام. فلا يجوز إهمالها لهذا السبب ، ولكن يجب تخليصها ما شابها من تلك الوساوس. والاستفادة منها نقية خالصة ([1]).

٣- الالتزام بهدى المنهج الإسلامي الصحيح ممثلاً في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

لقول النبى ﷺ : " تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي " ([2]).

وذلك لأن القرآن والسنة أصلان أساسيان لكل مسلم ، فيجب على الداعية البداية بفهمهما فهماً صحيحاً . حتى يتكون عنده القلب الإسلامي الواعي الحصيف ، واللسان الصادق الفصيح ، واليد العليا القادرة .

٤- توسيع دائرة الإطلاع والتثقيف ، بالقراءة المستمرة . والأسفار لطلب العلم ، والاحتكاك بذوى الخبرة والاختصاص في شتى مجالات الحياة نظرياً وعملياً .

مع التمسك بالحصانة الإسلامية . كأساس لتقويم كل عمل ، ومنحه القيمة التى يستحقها . من تكريم وتمجيد ، أو تهوين واحتقار .

بهذه الأمور الأربعة - وغيرها - يستطيع المسلم أن يتحصل على الحكمة. فيدعو إلى الله تعالى على بصيرة وفقه ، سائراً على هدى النبى ﷺ في دعوته { قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين } ([3]).

---

[1] السابق صـ ١٨٤ .

[2] الموطأ : للإمام مالك كتاب القدر جـ ٢ صـ ٨٩٩ .

[3] سورة يوسف آية ١٠٨ .

**بم يتحقق أسلوب الحكمة أو البصيرة ؟**

يتحقق الأسلوب الحكيم والأمثل للدعوة بالكلمة بأمور ٠ من أهمها :-

١- عدم النقد بطريق مباشر ٠

٢- عرض موضوع الدعوة بوضوح تام ٠

٣- التوجه بالدعوة أولاً إلى كبار القوم أو المؤثرين فيه ٠

أولا : **عدم النقد بطريق مباشر ٠**

النقد بطريق مباشر لأى إنسان مهما كانت درجة فهمه أو ثقافته ، يأتى بنتائج عكسية ٠ على الدعوة ، وعلى الداعية ، وعلى المدعو ٠

فيؤدى إلى إصرار المخطئ - المدعو - على خطئه ،حتى ولو تأكد من هذا الخطأ ، وهذا أمر فطرى في الجنس البشرى ، فكل إنسان معتز برأيه وعقيدته ، وكل جماعة معتزة برأيها وسلوكها ٠

ومظهر الحرية والكرامة والعناد ٠ يظهر بوضوح تام عند توجيه النقد المباشر ٠ إلى عقيدة وسلوك الإنسان - فرداً أو جماعة - وربما يؤدى إلى إهانة الداعية ودعوته بالقول أو الفعل ٠

ويتضح هذا في نهي الله تعالى المؤمنين عن سب آلهة المشركين ٠ لئلا يصر المشركون على شركهم ، ويسبوا الله ﷻ - وهو موضوع الدعوة ٠ ويسبوا الداعية - وهو الرسول ﷺ وجميع المؤمنين معه ٠

فقال تعالى { ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم } [١]٠

ومثله قول النبى ﷺ : " إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه ، قيل يا رسول الله ، وكيف يلعن الرجل والديه ؟ قال يسب الرجل أبا الرجل فيسب الرجل أباه ، ويسب أمه فيسب أمه " [٢]٠

---

[١] سورة الأنعام آية ١٠٨ ٠

[٢] رياض الصالحين باب تحريم العقوق وقطيعة الرحم صـ ١٦١ ٠

وبدلاً من النقد المباشر يجب على الداعية أمران :

أولا : أن يوجه نظر المدعو إلى نواحي الخير في رأى ما٠ أو نمط من السلوك، يشبه ما يريد الداعية تغييره ، ويترك لعقل المدعو أن يفكر ٠ ويميز بين ما يقوله الداعية ٠ وبين ما يعتقده هو ، ليصل إلى الصواب بنفسه٠

ويوضح هذا الأسلوب ٠ تعداد نعم الخالق ﷻ ، والمقارنة بينه وبين ما يعتقده المشركون في الأوثان التى لا تخلق شيئاً ٠

قال تعالى بسم الله الرحمن الرحيم { أتى أمر الله فلا تستعجلوه ، سبحانه وتعالى عما يشركون ، ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون ، خلق السموات والأرض بالحق ، تعالى عما يشركون ، خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين ، والأنعام خلقها ، لكم فيها دفء ومنافع ، ومنها تأكلون ، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ، وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ، إن ربكم لرؤف رحيم ، والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ، ويخلق ما لا تعلمون ، وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ، ولو شاء لهداكم أجمعين ، هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ، ومنه شجر منه تسيمون ، ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ، إن فيّ ذلك لآية لقوم يتفكرون ، وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ، وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون ، وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طرياً ، وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ، وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ،وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون ، وعلامات وبالنجم هم يهتدون ، أفمن يخلق كمن لا يخلق ؟؟!! أفلا تذكرون ؟؟! وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، إن الله لغفور رحيم ، والله يعلم ما

تسـرون ومـا تعلنـون ، والذيـن يدعـون مـن دون اللـه لا يخلقـون شـيئا ، وهم يخلقون ، أموات غير أحياء ، وما يشعرون أيـان يبعثـون ، إلهكـم إلـه واحد ،،، الآيات } (١)٠

الأمر الثاني : الاهتمام بعرض محاسن ما يدعو إليه دونما ذكر لمساوئ منكر المدعو ، فيدركها المدعو بأقل تأمل بين المحاسن والمساوئ ٠

ويوضح هذا الأسلوب ما نزل في شأن تحريم الخمر من آيات بدأت بقوله تعالى :

{ ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا إن في ذلك لآية لقوم يعقلون } (٢)٠

ولأن القرآن الكريم وصف الرزق بالحسن ٠ ولم يصف السكر بحسن ولا قبح ، بدأ عقل المدعو يفكر ٠ ويتأمل ٠ ثم يسأل الداعية ، عن هذا الأمر ، فكانت الآية التالية في قوله تعالى :

{ يسألونك عن الخمر والميسر ٠ قل فيهما إثم كبير ٠ ومنافع لناس ، وإثمهما أكبر من نفعهما } (٣)٠

ونلاحظ دقة الحكمة في أسلوب الآيتين الكريمتين ٠

ففي الآيـة الأولى : سكت عن وصف السكر بالقبح مع وصف الرزق بالحسن ٠

وفي الآية الثانية وصف السكر أو الإثم بالكبر ٠ وسكت عن وصف المنافع بالحسن ، وذلك لأن الحديث في الآية الأولى ٠ ابتدأ من قبل الداعية ، فوصف المدعو إليه بالحسن ، ولم يصف منكر المدعو بالقبح ٠

---

(١) سورة النحل ١ - ٢٢ ٠

(٢) سورة النحل آية ٦٧ ٠

(٣) سورة البقرة آية ٢١٩ ٠

أما الحديث في الآية الثانية ٠ فقد ابتدأ من قبل المدعو ٠ حيث سأل عما في الخمر والميسر من منافع وأضرار وآثام ، فوصف الإثم بالكبر ليبتعد عنه المدعو ٠

فليس في هذه الآية نص على تحريم الخمر ، بل فيها إيماء وإشارة إلى أن ما كثر ضرره ، وقل نفعه ينبغى للعاقل أن يبتعد عنه ٠

وبهذا الضوء من الحكمة اختار جماعة من العقلاء البعد عن الخمر ، ثم حرمت جزئياً في وقت الصلاة فقط ٠ حيث قال تعالى :

{ يأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون } ([1])٠

ثم حرمت الخمر نهائيا بعد ذلك ٠ بقوله تعالى :

{ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون } ([2])٠

وكان هذا التحريم النهائي للخمر سنة ثلاث للهجرة الشريفة بعد غزوة أحد ([3])٠

كما روى أن تحريمها كان سنة ثمان للهجرة الشريفة قبل فتح مكة([4])٠

ولا خلاف بين علماء المسلمين أن سورة المائدة نزلت بتحريم الخمر وهي مدنية من آخر ما نزل ([5])٠

---

[1] سورة النساء آية ٤٣ ٠

[2] سورة المائدة آية ٩٠ ٠

[3] تفسير القرطبي جـ٣ صـ ٦٤٠ ٠

[4] صحيح مسلم بشرح النووي جـ١١ صـ ٥ ٠

[5] تفسير القرطبي جـ٣ صـ ٦٤٢ ٠

أى أن تحريم الخمر نهائيا كان بعد حوالي عشرين عاما • من بدأ الدعوة الإسلامية ، تهيأت فيها النفوس للإقلاع عن الخمر ، حتى استجابوا طوعا لتحريمها •

وسارعوا إلى التنفيذ لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ القائل •

" ألا إن الخمر حرمت ، فكسرت الدنان ، وأريقت الخمر حتى جرت في سكك المدينة " ([1])•

ثانيا : **عرض موضوع الدعوة بوضوح تام •**

إن عرض أى موضوع بأسلوب سلس • وعبارات بينة ، وكلمات واضحة الدلالة ، بينة المقصد ، بعيدة عن الغموض والتعقيد •

يجعل المستمع ينشد إلى سماعه ، والاهتمام به •

وبالتالي : الاقتناع به ، والاستمالة نحوه ، والتأثر بالداعية •

ويبدو هذا الأسلوب جلياً ، في دعوة النبى ﷺ للحصين ، ذلك الرجل الذي تعظمه قريش وتجله ، فأرسلوه إلى الرسول ﷺ ليكلمه • حتى ينتهي عن دعوته•

فلما جاء الحصين إلى النبى ﷺ ، قال ﷺ لأصحابه – أوسعوا للشيخ !!

فقال الحصين : ما هذا الذى بلغنا عنك ؟! إنك تشتم آلهتنا وتذكرها •

فقال رسول الله ﷺ : يا حصين : كم تعبد من إله ؟!!

قال سبعة في الأرض ، وواحد في السماء •

فقال ﷺ : إذا أصابك الضر من تدعو ؟!

قال : الذى في السماء •

فقال عليه السلام : إذا هلك المال من تدعو ؟!

قال : الذى في السماء •

---

[1] السابق جـ٣ صـ ٦٤٦ •

فقال ﷺ يستجيب لك وحده ، وتشرك معه غيره ؟!!

أسلم تسلم ٠٠٠٠ فأسلم الحصين – ببركة حكمة النبى ﷺ ، فقال ﷺ لأصحابه :

شيعوه إلى منزله ([1])٠

كما يبدو وضوح الأسلوب وسهولته في موقف النبى ﷺ من الشاب الذى طلب منه أن يرخص له في الزنا ، فانتهره الصحابة بشدة ، ولكن النبى ﷺ عالجه بحكمة بالغة ، ثم أدار معه حواراً مبسطاً واضحاً وهادفاً ٠

روى الإمام أحمد عن أبى أمامة ﷺ ، أن غلاماً شاباً أتى النبى ﷺ ، فقال يا نبى الله ! أتأذن لى في الزنا ؟ فصاح الناس به ، فقال النبى ﷺ : **أتحبه لأمك ؟ قال لا ، جعلنى الله فداك ، قال ، كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم ٠**

أتحبه لابنتك ؟ قال لا ، جعلنى الله فداك ، قال ، كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم ٠

أتحبه لأختك ؟ قال لا ، جعلنى الله فداك ، قال ، كذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم ٠

وزاد ابن عوف ، أنه ذكر العمة والخالة ، وهو يقول في كل واحدة لا جلعنى الله فداك ٠

فوضع رسول الله ﷺ يده الشريفة على صدره ، وقال اللهم طهر قلبه ، واغفر ذنبه ، وحصن فرجه ، فلم يكن شئ أبغض إليه منه – يعنى الزنا – ([2])٠

وذلك ببركة حكمة النبى ﷺ في تغيير هذا المنكر ٠

ثالثا : **الواقعية أو حسن اختيار موضوع الدعوة ٠**

---

[1] السيرة الحلبية جـ١ صـ ٣١٨ ٠

[2] سند الإمام أحمد ٠

إن الواقعية في عرض الداعية لموضوعه من أهم الأمور التى تمكنه من نجاح دعوته ، والتأثير في مدعويه ٠

وتتحقق الواقعية بانسجام موضوع الدعوة مع الواقع الذى يعيش فيه الناس ، وذلك بالحديث في كل ما يهم مجتمع الدعوة ٠ من أمور إيجابية نافعة٠ تستحق التشجيع والحث عليها ، أو أمور سلبية ضارة يئن منها المجتمع ٠

فيجب على الداعية الوقوف أمامها ليغيرها بالحكمة ٠٠٠ وبهذا يكون الداعية مشاركا مدعويه في كل شئ ٠

كما أن الموضوعات تختلف من مكان لآخر ، ومن زمان لآخر ، فالموضوعات الدعوية التى تثار في البلاد العربية الإسلامية ٠ غيرها في البلاد الأعجمية إسلامية أو غير إسلامية ٠

والموضوعات التى تثار في البلاد الرأسمالية ، غيرها في البلاد الاشتراكية أو الشيوعية ،،،، وهكذا ٠

ولذا كان النبي ﷺ يجيب كل سائل بما يناسبه ، ويوصى كل إنسان بما يصلحه ، ويوجه إلى كل قوم داعية يناسبه ٠

رابعاً : **التوجه بالدعوة أولا إلى كبار القوم والمؤثرين فيه :**

إن كبار القوم ، أو الزعماء والوجهاء ، أو الشخصيات الهامة فيه ، لها أكبر الأثر فى غيرهم ٠ انطلاقاً من عامل التقليد ، أو بحكم العلاقة بين الكبير والصغير ٠ أو بين الرئيس والمرؤوس ٠

ولذلك لما خاطب النبى ﷺ بالدعوة الإسلامية الناس خارج الجزيرة العربية : كتب إلى الملوك والرؤساء ، رجاء أن يسلم أقوامهم بإسلامهم ٠

وبهذا يتضح أن الأسلوب الحكيم الأمثل لتغيير المنكر ، وتصحيح الخطأ٠ يتكون من أربع خطوات أساسية هي :

١- عدم النقد بطريق مباشر ٠

٢- عرض موضوع الدعوة بوضوح تام ٠

٣- الواقعية وحسن اختيار الموضوع ٠

٤- التوجه بالدعوة أولاً إلى كبار القوم أو المؤثرين فيه ٠

ب- **الموعظة الحسنة ٠**

وهي النصح والتوجيه ، أو التذكير بالعواقب عن طريق الكلمة التى يوجهها من يبتغى خير الآخرين ، وإبعادهم عن الشر ٠

أو عن طريق الأسلوب المؤثر ، المثير للانتباه ، المرغب في فعل الخيرات٠ وإقالة العثرات ، واجتناب المنكرات " فهي توجيهات تفيد القرب النفسي بين الداعية والمدعو ، بما يشمله من آثار الانفعال ٠ وإيقاظ الشعور ، مع وضوح أن الداعي يقصد النصح لمدعو ، ويخاف عليه " ([1])٠

شروط الموعظة الحسنة :

إن الموعظة لكي تكون حسنة ٠ ومؤثرة ، لابد وأن يتوافر فيها شروط من أهمها :-

١- أن تكون الموعظة صادرة من الداعية بإخلاص لله تعالى ، لا يريد بها جزاءً ولا شكوراً من المدعو٠

ولا يرى الداعية بها فضلاً لنفسه على غيره ، ومن يرد بها خلاف ذلك فله ما أراد { من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها ، وما له في الآخرة من نصيب }([2])٠

---

[1] الدعوة الإسلامية : د/ أحمد علوش صـ ٢٧٩ ٠

[2] سورة الشورى آية ٢٠ ٠

{ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ، ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً ، ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن ، فأولئك كان سعيهم مشكوراً } ([1])٠

وإخلاص الداعية في دعوته أو موعظته ، يولد فيه التأثر بها ، وبالتالي التأثير في المدعو ،على حد قول عامر بن عبد قيس ([2])٠ الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب ٠ وإذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الآذان ٠

وقول الحسن البصري ([3]): وسمع رجلاً يعظ ، فلم تقع موعظته بموضع من قلبه ، ولم يرق عندها ، فقال له : يا هذا : إن بقلبك لشراً أو بقلبي ([4])٠

ولهذا أرى أن الإخلاص في الدعوة ضروري جداً لما يترتب عليه من تأثر الداعية بدعوته ٠ والتأثير بها في المدعو ٠

٢- أن تكون الموعظة مطابقة لحال المدعو ٠

تعالجه من مرض فيه ٠ أو تحذره من خطر محدق عليه ، أو توجهه إلى خير ينفعه في عاجله أو آجله ٠

روى هارون بن عبدالله الجمال ([5]) فقال :

---

[1] سورة الإسراء آية ١٨ - ١٩ ٠

[2] هو عامر بن عبد قيس بن ثابت التميمي ٠ ويقال له أيضا ٠ عامر بن عبد الله ٠ ثقة من كبار التابعين وعبادهم ٠ وكان غاية في الزهد ٠ وكان من الأبيناء الفصحاء ٠ توفي في خلافة معاوية بن أبي سفيان ﷺ - البيان والتبين جـ١ صـ ٨٣ ٠

[3] هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري ٠ كان أبوه يسار مولى لزيد بن ثابت الأنصاري ﷺ ٠ وكانت أمه تسمى خيره ٠ مولاة للسيدة أم سلمة زوج الرسول ﷺ ٠ وولد الحسن في بيتها سنة ٢١هـ وتوفى بالبصرة سنة ١١٠هـ في عهد هشام بن عبد الملك - هداية المرشدين صـ ٦٠ - ورجال الفكر والدعوة صـ٥٣ وما بعدها٠

[4] البيان والتبين للجاحظ جـ١ صـ ٨٣ - ٨٤ ٠

[5] من كبار رجال الدولة في العصر العباسي ٠

جاءني أحمد بن حنبل ﷺ – بالليل – يريد أن يصحح لي خطأ فقلت : حاجة أبي عبدالله ،ما حاجتك ؟

قال : شغلت اليوم قلبي ٠

فقلت : بماذا يا أبا عبدالله ؟

قال : جزت عليك اليوم وأنت قاعد تحدث الناس في الفئ – الظل – والناس في الشمس ٠ بأيديهم الأقلام والدفاتر ، إذا قعدت ، فاقعد مع الناس !!!([1])

هكذا ينبغي أن يسلك الداعية في أسلوبه لتوجيه الغير نحو الصواب ٠

إن الداعية – الإمام أحمد – يزور المدعو – هارون بن عبدالله الجمال – في السر – ليلاً ٠

ثم يبدى مشاعره وحرصه عليه٠انطلاقاً من روح الأخوة الإيمانية بقوله : شغلت قلبي !!! ولم يقل له : لإساءتك للناس بجلوسك في الظل ، وجلوس الناس في حرارة الشمس وقتاً طويلاً على ملل ومشقة ٠

وحديث الداعية عن مشاعره تجاه المخطئ بأسلوب مهذب هكذا ، أو بقوله أنا أرى ، أو أشعر أن الموضوع ممكن أن يكون بأسلوب آخر ٠

له أكبر الأثر في نفس المدعو ٠ عندئذ يشعر المدعو بالخطأ ، ويكون أدعى لقبول النصيحة ، لأنه يشعر أن الباعث عليها من الداعية هو روح الإخاء والمودة تجاه المدعو ٠

٣- أن تكون النصيحة في سِرِّيَّةٍ تامة إذا كانت لفرد ٠ وأن تكون بالتلميح لا بالتصريح إذا كانت لجماعة ٠ لئلا يثير بعظته من الشر أكثر مما يريد من الخير ٠

ولا يختلف اثنان في أن النصيحة في العلن فضيحة ٠ يكرهها الناس ٠

---

[1] فن التعامل مع الناس : د/ عبد الله الخاطر صـ ٣١ ٠

ويعبر عن هذا ٠ الإمام الشافعي ﷺ بقوله :

تعمدني بنصحك في انفـــرادي وجنبني النصيحة في الجماعة

فإن النصح بين الناس نوع من التوبيخ لا أرضى استماعــــه

فإن خالفتني وعصيت قولـــــي فلا تجزع إذا لم تعط طاعـــة [1]٠

كما قال أيضا :

من وعظ أخاه سراً فقد نصحــه وزانـه ٠ ومـن وعظـه علانيـة فقد فضحـه وشانه [2]٠

والتعريض في الوعظ والنصيحة أبلغ من التصريح ، وذلك لأنـه أوقـع فـي نفس المدعو ، وأعظم تأثيراً في قلبه ، وأدعى إلى التنبيه للخطأ ، مع ما فيـه مـن مراعاة حرمة المخاطب بترك المجاهرة بالتوبيخ ٠

وأيضاً التعريض لا تنتهك به سُجُفُ الهيبة ، ولا يرتفع معه ستر الحشمة ٠

أما صريح التوبيخ والتقريع الشديد العنيف ، فقد يورث الجرأة على الهجـوم بالخلاف ، ويهيج الحرص على الإصرار ، والبقاء علـى مـا ليـم عليـه ، لا سيما النفوس المنطوية على الكبر [3]٠

وقد ضـرب الرسـول ﷺ أروع الأمثلـة فـي النصـح والتوجيـه حيـن يوجـه المخطئ فرداً أو جماعة بقوله : ما بال أقوامٍ ٠٠٠

٤- من أهم شروط الموعظة الحسنة المؤثرة : أن يكون الواعظ قـدوة لغيره ، لا ينه عن شئ ويأتي مثله ٠

---

[1] فن التعامل مع الناس صـ ٢٠ ٠

[2] شرح النووي على مسلم جـ٢ صـ ٢٤ ٠

[3] هداية المرشدين صـ ١١٧ ٠

وهذا أمر ضروري جدا للتأثير في المدعو ، فلا يأتى التأثير إلا بعد التأثر ، ولا يأتى الإقناع إلا بعد الاقتناع ٠

لأن الداعية داعية بحاله ومقاله ، بهيئته وكلامه ، بسمته وسلوكه ، فلا يكذب حاله مقاله ، ولا يخالف فعله قوله ، لأن هذا يؤدى إلى :

ا- عدم تأثير الداعية في مدعويه إذ هو غير قدوة ٠

ب- كما يؤدى إلى غضب الله ومقته { يأيها الذين آمنوا لما تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون } ([1])٠

وعاب الله تعالى على أحبار اليهود أمرهم غيرهم بما لا يأتمرون هم به ، ونهيهم غيرهم عن أشياء لا ينتهون هم عنها ، فكان قولهم مخالفاً لفعلهم ، فقال تعالى:

{ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون } ([2])٠

وأخرج الإمام مسلم بسنده عن أسامه بن زيد ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :

يؤتى بالرجل يوم القيامة ٠ فيلقى في النار فتندلق أقتابه ([3])٠فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى ، فيتجمع إليه أهل النار فيقولون : يا فلانً : ما لك ؟! ألم تك تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر ؟ فيقول ! بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه ، وأنهي عن المنكر وآتيه ([4]) فليتجنب الداعية هذه الأمور التى تشينه

[1] سورة الصف آية ٢ ٠

[2] سورة البقرة آية ٤٤ ٠

[3] تخرج أمعاؤه ٠

[4] صحيح مسلم جـ١٨ صـ ١١٨ كتاب الفتنة باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله ٠

بيـن النـاس وتعرضـه لغضب اللـه عليـه فـى الأولـى والآخـرة٠ولا يجعـل قـول الشاعر٠

اعمل بقولي وإن قصرت في عملي    ينفعك قولى ولا يضرك تقصيرى

عذرا له في تقصيره ، فيضره وإن لـم يضـر غيره ، فـإن إعـذار النفس يغريها ، ويحسن لها مساويها ، فإن من قال ما لا يفعل فقد مكر، ومن أمر بمـا لا يأتمر فقد خدع ، ومن أسر غير ما يظهر فقد نافق ([1])٠

ولأمثال هؤلاء الدعاة يقول الحكيم :

يا أيها الرجل المعلم غيـــــــره    هلا لنفسك كان ذا التعليـــم

تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا    كما يصح به وأنت سقيـــم

لا تنه عن خلق وتأتى مثلـــــه    عار عليك إذا فعلت عظيـم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيهـــــا    فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يسمع ما تقول ويقتـــــدى    بالقول منك ويقبل التعليـــم ([2])٠

**جـ - المجادلة بالتي هي أحسن ٠**

وهي محاورة كلاميـة منطوقة أو مسـطورة تجرى بين طرفين من ذوى المقدرة على الكلام في موضوع معين ٠

بلا تحامل على المخالف ، ولا ترزيل لرأيه ، ولا تقبيح لفكره ، ما دام يريد الوصول إلى الحق في موضوع المجادلة ٠

أمثلة :

لقد ضرب الله ﷻ في تعليمه لنبيه ﷺ أمثلة من أساليب المجادلة بالتي هي أحسن لينتهج منهجها ، في دعوة المعاندين ، حتى لا يزدادوا بالدعوة كفـرا وضلالة ٠

---

[1] آداب الدنيا والدين صـ ٦١ ٠

[2] البيان والتبين جـ ١ صـ ١١١ ٠

وعسى أن ينفذ إلى قلوبهم المتحجرة شعاع من نور الهداية ٠ يكون فيه خلاصهم من الكفر ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، ومن هذه الأمثلة :

قوله تعالى { قل من يرزقكم من السموات والأرض ؟ قل الله ، وإنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين } ([1])٠

في هذه الآية الكريمة إرشاد من الله تعالى لرسوله ﷺ إلى أدب المناظرات ، وذلك لأن أحد المتناظرين إذا قال للآخر : هذا الذى تقوله خطأ ، وأنت فيه مخطئ ، يغضبه ٠ وعند الغضب لا يبقى سداد الفكر ، وعند اختلال الفكر لا مطمع في الفهم ، فيفوت الغرض ، وأما إذا قال له : إن أحدنا لا يشك في أنه مخطئ ، والتمادى في الباطل قبيح ٠ والرجوع إلى الحق أحسن الأخلاق ، فنجتهد ونبصر أيّنا على الخطأ ليحترز ، فإن ذلك الخصم يجتهد في النظر ٠ ويترك التعصب ، وذلك لا يوجب نقصاً في المنزلة ، لأنه أوهم بأنه في قوله شاك ، ويدل عليه قوله تعالى لنبيه : وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين – مع أنه ﷺ لا يشك في أنه هو الهادي المهتدى ٠ وهم الضالون المضلون ([2])٠ومع ذلك ، فقد علّمه ربه كيف يعلن للقوم كل ذلك٠ دون جرح لشعورهم ٠ أو إثارة لكبريائهم بعد أن أقام الحجة عليهم ، وقدم البرهان القاطع لهم ٠

ومثله قول الله تعالى : { ولئن سألتهم ، من خلق السموات والأرض ؟ ليقولن الله ، قل : افرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره ؟ أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته ؟ قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون } ([3])٠

---

[1] سورة سبأ آية ٢٤ ٠

[2] تفسير الرازى جـ ٢٥ صـ ٢٥٧ ٠

[3] سورة الزمر آية ٣٨ ٠

وقوله تعالى : { قل أفر أيتم ما تدعون من دون اللـه ؟ أروني مـاذا خلقـوا من الأرض ؟ أم لهم شرك في السموات ؟ أيتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة مـن علم إن كنتم صادقين } ([1])٠

وقد الـتزم النبي ﷺ بهذا المنهج القرآني الكريم في المجادلة بـالتي هـي أحسن ، ويظهر هذا واضحـاً في مجادلته ﷺ مع الحصين والشاب الذي جاءه ليرخص له في جريمة الزنا ([2])٠

## الفرق بين الموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي أحسن

المجادلة منازعة بين طرفين متعارضين حول موضوع ما ، والخصم فيها ، ليس صامتاً ، وإنما يناقش ويرد ، ويدافع عن رأيه بما ثبت لديه من أدلة وبراهين ، فالطرفان متفاعلان ٠

أما الموعظة : فإن المدعـو بها يستمع إليها ، وسيثار بها دون مناقشة ، فهي من طرف واحد ، والآخر صامت ٠

**علاقة الأساليب الثلاثة ببعضها ٠**

الأساليب الثلاثة هي : الحكمة ، والموعظة الحسنة ، والمجادلة بـالتي هـي أحسن ، هل هذه الأساليب متفقة فيما بينها أم متباينة ومتغايرة ؟! وهل هـي لأصناف مختلفة من الناس أم لشخص واحد ؟!

أولا : إذا كانت الحكمة – كما قلنا – هي عرض موضوع الدعوة على المدعو بالأسلوب المناسب ٠ في الوقت المناسب ٠ بالوسيلة المناسبة ، فهي مفهوم

---

[1] سورة الأحقاف آية ٤ ٠

[2] راجع ص ٧١٣ من هذا البحث ٠

يشمل ما بعده من الموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ، فهما تفصيل بعد إجمال ، أو تأكيد لما في مضمون الحكمة ٠

وعلى هذا فالأساليب الثلاثة متفقة فيما بينها ، أى الواعظ بالحسنى حكيم ، والمجادل بالحسنى حكيم ٠

ثانيا : وذهب بعض العلماء إلى أن هذه الأساليب الثلاثة متغايرة ٠ فالحكمة لها مفهوم خاص بنوع معين من الناس ، وكذلك الموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي أحسن ٠

ومن القائلين بذلك : الإمام المفسر الفخر الرازى ([1]) حيث يقول : أهل العلم ثلاث طوائف :-

القسم الأول : الكاملون الطالبون للمعارف الحقيقية ٠ والعلوم اليقينية٠ والمكالمة مع هؤلاء لا تمكن إلا بالدلائل القطعية اليقينية ، وهي الحكمة ٠

و القسم الثاني : الذين تغلب علي طباعهم المشاغبة والمخاصمة ٠ لا طلب المعرفة الحقيقية ٠ والعلوم اليقينية ٠ والمكالمة اللائقة بهؤلاء المجادلة التي تفيد الإفحام والإلزام ٠

وهذان القسمان هما الطرفان ، فالأول ، هو طرف الكمال، والثاني هو طرف النقصان ٠

وأما القسم الثالث: فهو الواسطة ، وهم الذين ما بلغوا في الكمال إلى حد الحكماء المحققين ، وفي النقصان والرذالة إلى حد المشاغبين ، المخاصمين ، بل هم أقوام بقوا على الفطرة الأصلية ٠ والسلامة الخلقية ، وما بلغوا إلى درجة الاستعداد لفهم الدلائل اليقينية ٠ والمعارف الحكمية والمكالمة مع هؤلاء لا تمكن إلا بالموعظة الحسنة ([2])٠

---

[1] وكذلك العلامة المفسر : أبو السعود و الألوسى ٠

[2] التفسير الكبير للرازى جـ ٢٠ صـ ١٣٩ ٠

فلكل طبقة من الناس له ما يناسبه من الأساليب الثلاثة ، ولا يناسب طبقة ما يناسب الأخرى من أسلوب ٠

وأكد هذا المعنى ، حجة الإسلام الغزالى بقوله : واعلم أن المدعو إلى الله تعالى بالحكمة قوم ، وبالموعظة قوم ، وبالمجادلة قوم ٠

وعلل لذلك بقوله :-

فإن الحكمة إن غذى بها أهل الموعظة ٠ أضرت بهم ، كما تضر بالطفل الرضيع التغذية بلحم الطير ٠

وإن المجادلة إذا استعملت مع أهل الحكمة ٠ اشمأزوا منها ٠ كما يشمئز طبع الرجل القوى من الارتضاع بلبن الآدمي ٠

وإن من استعمل الجدال مع أهل الجدال لا بالطريق الأحسن ٠ كما تعلم من القرآن ٠ كان كمن غذى البدوي بخبز البُرِّ ٠ وهو لم يألف إلا التمر ٠ أو البلدي بالتمر وهو لم يألف إلا البر (١)٠

وتقسيم الناس إلى طوائف ثلاث بحسب طباعهم على النحو السابق ٠ تقسيم طيب ٠ لأن من الناس من يريد التعمق ، ويكره السطحية ، ولا يهدأ له بال إلا باليقين الحقيقي ٠ القائم على الفكر والتدبر ٠

ومنهم من يستهويه موضوع مثير ، وفطرة طيبة ، فيقف أمام اللفظة الجميلة ٠ والمثل النادر ، والقصة الشيقة ٠ والتكرار المؤكد ٠

ومنهم من يهوى اللجج ويعشقه ، فينازع ويجادل (٢)٠

كما أن هذا التقسيم تقسيم مقبول إذا نظرنا إلى الأساليب الثلاثة مجزأة ، الحكمة ، الموعظة الحسنة ، المجادلة بالتي هي أحسن - لثلاث طوائف من الناس٠

---

١ القسطاس المستقيم صـ ١٢ ٠

٢ الدعوة الإسلامية ٠ د/ أحمد غلوش صـ ٢٨١ ٠

وكذلك تستخدم الأساليب الثلاثة لشخص واحد تعتريه حالات ثلاث :
حال الفطنة ، وحال الوجدان والعاطفة ، وحال الكبرياء والذاتية .
ففي حال الفطنة : يخاطب بالحكمة .
وفي حال الوجدان والعاطفة : يخاطب بالموعظة الحسنة .
وفي حال الكبرياء والذاتية : يخاطب بالمجادلة بالتي هي أحسن .

وقد استخدم النبى ﷺ هذه الأساليب الثلاثة مع مفاوضى قريش ، ففي المرة الأولى ، قرأ عليهم آيات من سورة فصلت ، وفي المرة الثانية ، قال لهم : واعظاً ومجادلاً بالتي هي أحسن :

ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ، ولا الشرف منكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن بعثني الله إليكم رسولاً ، وأنزل على كتاباً ، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبلغت رسالات ربى ونصحت لكم ، وإن تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم من الدنيا والآخرة ، وإن تردوه عَلَيَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم ([1]).

وبما أن الإسلام الحنيف دين عام . وتنظيم شامل لكل مجالات الحياة الإنسانية والكونية ، وهو دين منطق وحكمة ، ولا يهدف نحو تربية حاسة واحدة من حواس الإنسان ، بل نحو قوى الإنسان كلها . من قلب وعقل وعاطفة ، كان من الفطرة له أن يخاطب كل هذه القوى النفسية ويهذبها . لتتضامن جميعا في الإيمان ، وفي تربية الشخصية الإنسانية الحقة ([2]).

وبهذا يمكن أن ندرك : أن الأسلوب الذي دعت إليه الآية الكريمة :

---

[1] السيرة الحلبية جـ ١ صـ ٣٤٠ .

[2] الحياة الوجدانية والعقيدة الدينية . د/ محمود حسب الله صـ ٢٨٧ . والدعوة الإسلامية في عهدها المكي . د/ رؤف شلبى صـ ٣٥١ .

{ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن } ([1])٠

هو أسلوب يصلح لطوائف الناس ٠ عندما تبرز هذه الخصائص متفرقة ٠

كما أنه كذلك يصلح لواحد من الناس تقويما لجميع قواه العقلية والقلبية والعاطفية ٠

وبذلك تنفرد الدعوة الإسلامية بأسلوبها الخاص بها ٠ في استخدام مناهج الفكر والعمل مع الجماعة ٠ بأسلوب غاية في التهذيب والبناء ٠ لجميع قوى الإنسان الذي تنقل إليه الدعوة ٠ ليكون ربانياً في دنياه وآخرته على السواء ([2])٠

وبذلك أيضا ندرك أن الداعية المسلم في حاجة دائمة إلى الاجتهاد في حسن اختيار الأسلوب المناسب ٠ والوقت المناسب ٠ والوسيلة المناسبة للمدعو ، وهو ما يسمى بالحكمة كما سبق ، فلا مفر إذاً من اللجوء للحكمة في كل موضوع٠

وهذا هو سر تقدمها على بقية الأساليب ([3])٠

وبعد !!!

هذا هو أسلوب الدعوة الإسلامية ، ودستورها التبليغى ٠ ما دام الأمر في دائرة اللسان – بالكلمة – بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ،

جـ – تغيير المنكر باليد : الدعوة بالقوة ٠

إذا تغير الموقف ، وصار الأمر من جهة المدعو ، كلاماً بالقوة أو السلاح، كان للدعوة أسلوب ومنهج يتفق مع موقف المعاندين المشاغبين ، بعد أن أفصحت لهم الدعوة عن سموها ، وأخلاقها السامية ٠ في الدعوة بالكلمة : حكمة وموعظة ومجادلة بالحسنى ٠

---

[1] سورة النحل آية ١٥ ٠

[2] الدعوة الإسلامية في عهدها المكي ٠ د/ رؤف شلبى صـ ٣٥١ ٠

[3] فقه الدعوة والإعلام : د/ عماره نجيب صـ ٥٢ ٠

وبالتالي يضاف إلى الأساليب الثلاثة ، أسلوب رابع هو أسلوب القوة٠وهو ما يشير إليه الحديث الشريف " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده أي بالقوة " ٠

ويخطئ ممن يقصر هذا الأسلوب على الحكام فقط ٠ لأنه من سلطة أي مسئول في حدود مسئوليته وسلطته ، وذلك مثل :

الوالدان : مأموران بدعوة أبنائهما إلى الصلاة بالقوة ٠ إن تهاونوا بها بعد تعليمهم إياها ، وتعويدهم عليها إلى سن بينها النبي ﷺ بقوله :

" مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع ([1])٠

الزوج : والزوج مأمور بتوجيه زوجه بالحسنى والأساليب المهذبة ، فإذا لم تستجب بعدها ، توجه بالقوة والضرب غير المبرح إلى أن تمتثل للتوجيه السديد٠

يقول سبحانه { واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجرهن في المضاجع واضربوهن ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا } ([2])٠

المعلم لتلاميذه : والمعلم أو المؤدب يوجه تلاميذه بالرفق واللين والأسلوب الحسن ، ترغيباً لهم في العلم وتحصيله ، وإذا لم يجدي هذا الأسلوب يستعمل معه أسلوب الضرب غير المبرح ٠

وفى هذا روى ابن خلدون أن هارون الرشيد قال للأحمر معلم ولده محمد الأمين : يا أحمر : إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه ، وثمرة قلبه ، فصَيَّر يدك عليه مبسوطة ، وطاعته لك واجبة، وكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين : أقرئه القرآن ، وعرفه الأخبار ، و روه الأشعار ، وعلمه السنن ، وبصره بمواقع الكلام وبدئه ، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته ، وخذه بتعظيم مشايخ بنى هاشم ، إذا دخلوا عليه ، ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه ،

[1] سنن ابى داود كتاب الصلاة متى يؤمر الغلام بالصلاة جـ ١ صـ ١٣١ ٠

[2] سورة النساء آية ٣٤ ٠

ولا تمرن بك ساعة • إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها ، من غير أن تحزنه ، فتميت ذهنه ، ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه ، وقوّمه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة ([١])•

إذاً : فأسلوب القوة في الدعوة والتوجيه من سلطة الحاكم صاحب السلطان• لأن الله تعالى قد وضع في يده سلطان التأديب • ووسائل الزجر بما شرع من عقوبات ، وبما فوض إليه من تعزيرات ، فالحكام المهيمنون ، هم وحدهم القادرون على التغيير العملي العام على أوسع نطاق •

ثم يلحق بهم رب الأسرة فيمن يلي من الأبناء والأهل في حدوده المرسومة• بمقتضى الشرائع والقوانين •

وكذلك المربون وسائر الرؤساء الذين ملكهم القانون شيئاً ، من صور التغيير العملي ، كل على قدره • وفى حدود سلطته ومسؤليته •

## القوة في منظور الدعوة الإسلامية

القوة في الإسلام لها جانبان :-

جانب مادي : يتمثل في القواعد الصحية للفرد والمجتمع وفى كل ما يساعد على تقدم الأمة الإسلامية في شتى مجالات الحياة مادياً ومعنوياً في حالات السلم والحرب •

جانب معنوي : يتمثل في المبادئ والقواعد الاعتقادية والفكرية التي توجه السلوك والأخلاق الفردية والاجتماعية •

وهذه القوة بوجهيْها المادي والمعنوي هي التي دعا الإسلام المسلمين إلى إعدادها • والتمسك بها • وبأسبابها ، في قوله تعالى :

---

[١] المقدمة صـ ٣٣٦ •

{ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم } ([1])٠

وفى قول النبي ﷺ

" المؤمن القوى خير عند الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير " ([2])٠

وذلك لأن الإرهاب للأعداء أحد الآثار الإيجابية المترتبة على وجود القوة حتى قبل استعمالها ٠

ولأن القوة فيها فضائل عديدة ، تبدأ بالقوة المعنوية والمادية لدى الفرد والجماعة ٠

ومن هذه النصوص الشريفة يتضح :

أن الإسلام أمر المسلمين بالقوة والتفنن في أسبابها ، ليكونوا في أعلى درجات القوة المادية والمعنوية ، لأن الإسلام في حد ذاته قوة ، والأرض مملوءة بقوات كثيرة ٠

( حين مجيئه و إلى أن يشاء الله ) فمن المحتمل أن تحاربه القوات الأخرى حتى لا يزاحمها في سلطانها ٠

وذلك شأن الناس في كل زمان ومكان ، فكان لابد من إعداد القوة ، والاستعداد بها لحماية الإسلام والمسلمين ، ليثبتوا وجودهم ، ويؤدوا رسالتهم بتبليغهم الإسلام في كل زمان ومكان ، و لكل إنسان ٠ بحكمة وبصيرة ٠

{ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله ، وما أنا من المشركين } ([3])٠

---

[1] سورة الأنفال آية ٦٠ ٠

[2] صحيح مسلم كتاب القدر جـ ١٦ صـ ٢١٥ ٠

[3] سورة يوسف آية ١٠٨ ٠

## كثرة المفاهيم العصرية عن القوة في الإسلام وانحرافها عن المفهوم الأصلي •

لقد ظهرت على الساحة العالمية – الإسلامية وغيرها – مفاهيم عديدة عن القوة ، مثل مفهم :

( العنف – التطرف – الإرهاب – الإرعاب ،،،، )

وهذه المفاهيم كلها بعيدة كل البعد عن المفهوم الحقيقي للقوة في الإسلام ، ذلك المفهوم الذي دافع عن الإسلام والمسلمين ، وحقق سلطانهم في كافة أرجاء المعمورة •

كما أن هذه المفاهيم – غالباً – ما تطلق على القائمين بها ، وهم :

إما من غير المسلمين غالباً •

وإما من المسلمين المحسوبين على الإسلام ، ولا يعرفون عنه إلا قشوراً قد لا تمت إلى أصوله الحقيقة بأدنى صلة •

وأرى أن مفهوم : العنف والإرهاب والإرعاب هو أنسب المفاهيم لأمثال هؤلاء القائمين على الساحة العالمية في العصر الحاضر ، وهم ممن يتمسحون بالإسلام ، والإسلام منهم براء •

وذلك لأن مفهوم التطرف يمثل ظاهرة نسبية زماناً ومكاناً وإنساناً •

كما أن الكلمة – التطرف – في فهم الدين ، قد تكون مقبولة ، إذا لم يلزم الشخص غيره بتطرفه في الفهم لأي جزئية في الدين أو أحكامه ، وذلك

١- كمن لا يأخذون – مثلا – بالأحاديث الآحاد في بعض الأمور الغيبية أو الاعتقادية ، مثل رفع المسيح عليه السلام • ونزوله في آخر الزمان • وما شابه ذلك [١]•

[١] أمثال الأئمة : محمد عبده • ومحمد مصطفى المراغى • ومحمود شلتوت • وغيرهم •

ب- وكمن يرون أن الدين هو الانهماك في العبادة بما يفوق طاقة البشر ، مثل ذلك النفر الذين جاءوا إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته فلما أخبروا بها ، كأنهم تقالوها - أى عدوها قليلة - فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ٠

فقال أحدهم : أما أنا فإني أصلى الليل أبداً ٠

وقال الآخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ٠

وقال الآخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ٠

فجاء رسول الله ﷺ إليهم ، فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟! أما والله إني لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس منى (١) ٠

جـ- وكمن يرون أن الدين هو الانقطاع عن الحياة ، والسعي في طلب الرزق الحلال ، وذلك مثل بعض المتصوفة الذين يستندون إلى بعض الأحاديث التي يسيئون فهمها ٠

منها ما رواه الترمذى بسنده عن أنس بن مالك ﷺ قال : كان أخوان على عهد رسول الله ﷺ : فكان أحدهما يأتي النبي ﷺ ، والآخر يحترف ، فشكا المحترف أخاه إلى النبي ﷺ فقال : لعلك ترزق به (٢)٠

لقد كان أحد هذين الأخوين يأتي النبي ﷺ لطلب العلم والمعرفة ٠ وهو عبادة من أهم العبادات والقربات ، يعكف عليه بعض أبناء الأمة ٠ وينفرون في سبيله ، لجمعه وتحصيله { فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون } (٣)٠

---

[١] صحيح البخارى كتاب النكاح جـ ١٩ صـ ١٢٤ وقد ورد فى صحيح مسلم أحاديث كثيرة حول نهى النبى ﷺ عن الإفراط فى العبادة وقراءة القرآن كله فى ليلة واحدة ٠ فى باب النهى عن صوم الدهر جـ ٨ صـ ٣٨ ٠

[٢] صحيح الترمذى باب ما جاء فى الزهادة فى الدنيا رقم ٢٤٤٨ ٠

[٣] سورة التوبة آية ١٢٢ ٠

وبعضهم الآخر • يمارسون سائر أعمالهم التي تناسبهم • ويحتاجها المجتمع ، فكان الآخر يمارس عملاً يتكسب به أسباب المعيشة ، فكأنهما يأكلان معاً في معيشة واحدة ، فشكا المحترف أخاه إلى النبي ﷺ ، لتقصيره في السعي معه ، والتماس أسباب العيش الحلال •

فقال الرسول ﷺ للشاكي : لعلك ترزق به – أي أرجو أن ترزق به وببركته ، لأنه مرزوق بسعيك وحرفتك ، فلا تمتن عليه بها •

وليس في هذا الرجاء ما يوهم السكوت على ترك العمل في الحياة • كما يظن بعض المتصوفة • وأدعياء الإسلام •

لأن الإسلام هو دين العمل والجد والاجتهاد • والأخذ بأسباب العزة والمنعة • في شتى مجالات الحياة • { فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور } [1]•

وإنما في هذا الرجاء – والله أعلم – بيان لصورة من صور التكافل الاجتماعي بين الناس جميعاً ، فضلا عن الأشقاء •

كما أن فيه إقرار لما يؤكده الإسلام • بتخصص فئة من المجتمع • في العلم والتفرغ لتحصيله ، لإفادة مجتمعهم بهذا العلم • على أن يكفيهم مجتمعهم الصغير – الأسرة – أو الكبير – المجتمع الإسلامي كله – مؤونة العيش والاشتغال والسعي عليه ، فهذا المجتمع يرزق • وتيسر له أسباب العيش • بسبب هذه الفئة المتفرغة للتخصص في تحصيل العلم النافع للإسلام والمسلمين • في حياتهم الأولى والآخرة •

أما إذا تطرف شخص في استعمال القوة لفرض رأيه على غيره أيا كان هذا الرأي – صواباً أو خطأ – فهذا هو ما يطلق عليه : العنف • الذي يشين كل شئ اتصل به •

---

[1] سورة الملك آية ١٥ •

مفهوم العنف ·

العنف ضد الرفق · والتعنيف يعنى : اللوم والتعيير ·

يقال : عنف به وعليه عنفا وعنافة : أخذه بشدة وقسوة ولامه وعيره ·

والعنفوان : هو القوة والحدة ·

يقال هو في عنفوان شبابه : أي في نشاطه وحدته وقوته ([1])·

## تاريخ العنف في المجتمعات البشرية ·

تبدأ ظاهرة العنف في حياة البشر · أولاً في الفكر والرأي – غالباً – ثم يتبعه العنف في السلوك والتطبيق ·

ومخالفة الأفراد أو المجتمعات لغيرها في الفكر أو السلوك ، أمر فطرى في الإنسان ·

بحكم اعتزاز كل فرد أو مجتمع برأيه وحريته ، ومحافظته على ذاتيته وشخصيته أن تذوب في شخصية غيره ·

وبحكم التكوين الأساسي للإنسان ، من مادة وروح وعقل وعاطفة ، والمادة مختلفة العناصر ، وربما لا تتساوى نِسَبُها · أو درجة امتزاجها في كل فرد ·

وهذا له أثره الفعال :

في العواطف والميول البشرية ·

وفى العقل وأحكامه التي تحاول أن ترتفع بالإنسان إلى المستوى الأعلى ، كما تحاول أيضا أن تنحدر به إلى المستوى الأدنى ·

وفى ظل هذه المعركة التي لا تهدأ بين أحكام العقل ·

---

[1] المعجم الوسيط صـ ٦٣١ ·

يكون الخلاف في الرأي والفكر ، وما قد يترتب عليه من انحراف وعنف في السلوك والتطبيق ٠

والدليل على الخلاف في الفطرة البشرية ٠

قوله تعالى : { ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم } [1]٠

أي ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة مجتمعة على الحق بحيث لا يكاد يختلف فيه أحد ، ولكن لم يشأ ذلك ، فلم يكونوا متفقين على الحق [2]٠

وهكذا اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون خلق الناس ٠ على نحو يكونون فيه مختلفين ٠

ما بين مستقيم ومنحرف ، مؤمن وكافر ، مطيع وعاص ، وهذا الاختلاف ضروري للحركة القائمة على الأخذ والعطاء ، والعقل والانفعال ، والقوة والمقاومة [3]٠

ويؤكد هذا الأمر حادثة ابني آدم في قوله سبحانه :

{ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً ، فتقبل من أحدهما ، ولم يتقبل من الآخر ٠ قال لأقتلنك ، قال إنما يتقبل الله من المتقين ، لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ٠ ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك ٠ إنى أخاف الله رب العالمين ٠ إني أريد أن تبؤ بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار ٠ وذلك جزاء الظالمين ، فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين [4]٠

[1] سورة هود آية ١١٨ - ١١٩ ٠

[2] تفسير أبي السعود جـ ٤ صـ ٢٤٨ ٠

[3] بيان للناس جـ ١ صـ ٢٣ - ٢٤ ٠

[4] سورة المائدة آية ٢٧ - ٣٠ ٠

إذاً من سنن الله تعالى في خلقه منذ ابني آدم عليه السلام و إلى ما شاء الله ، خلاف في الرأي والفكر ، وما يترتب عليه من خلاف وعنف في السلوك والتطبيق ٠

وقد بين النبي ﷺ أنه : " ما من نفس تقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم – الأول – – قابيل – كفل من دمها ، وذلك لأنه أول من أسن القتل " ([1])٠

## بداية الخلاف في الرأي على الساحة الإسلامية ٠

لقد بعث الله نبينا محمداً ﷺ على فترة من الرسل ، ووجد معارضات كثيرة من قومه ، ومن أهل الكتاب ، وشاء الله أن يؤمن به قومه وغيرهم ٠ ودخل الناس في دين الله أفواجاً ٠

وظل ﷺ طول حياته المباركة : محافظاً على عقيدة التوحيد الخالص لله تعالى ، داعيا إلى الوحدة والاتحاد ، ناعيا على الحزبية والعصبية ، وكل ما يؤدى إلى الفرقة والشقاق بين جماعة المسلمين ٠ حتى قال ﷺ في موعظة بليغة : " أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وإن تآمر عليكم عبد حبشي ، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ([2])٠

وقد شاءت إرادة الله تعالى – جرياً على سنته في خلقه – أن يحدث الخلاف بين المسلمين منذ أواخر حياة النبي ﷺ ، أثناء مرضه الذي مات فيه ([3])٠

---

[1] صحيح الترمذى باب ما جاء أن الدَّالَّ على الخير كفاعله جـ ٧ صـ ٤٣٦ رقم ٢٨١٢ ٠

[2] سنن أبى داود باب لزوم السنة رقم ٤٦٠٧ جـ ٤ صـ ٢٠٠ ٠

[3] راجع الملل والنحل للشهرستانى جـ ١ صـ ٢٠ وما بعدها ٠

حتى وصلت الخلافات في الفكر والرأي ذروتها ، بتلك المؤامرة التي خطط لها اليهود والمجوس ، ولعبت فيها العصبية الجاهلية دورا كبيرا ، وظهر العنف في السلوك على الساحة الإسلامية • بطعنة أبى لؤلؤة المجوسي للفاروق عمر بن الخطاب ﷺ في فجر الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين للهجرة النبوية الشريفة ([1])•

وباستشهاد الفاروق • فتح باب الفتنة والعنف في البيئة الإسلامية •

ثم تولى بعده ذو النور ين عثمان بن عفان أمر المسلمين ، وانتهى أمر العنف باستشهاده أيضا يوم الجمعة لثلاث خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين للهجرة النبوية الشريفة •

وزادت حدة العنف والصراع في البيئة الإسلامية بتولى الإمام على كرم الله وجهه •

مما أدى إلى استشهاد شهداء أبرار في موقعتي الجمل سنة ٣٦ هـ و صفين سنة ٣٧ هـ •

وامتد العنف حتى راح ضحيته الإمام على كرم الله وجهه • وهو يصلى الصبح يوم الجمعة ١٧ رمضان سنة ٤٠ هجرية • حين طعنه عبد الرحمن بن ملجم ([2])•

وأدى هذا العنف إلى خلق كثير من الفرق والأحزاب في البيئة الإسلامية ، مما كان له أكبر الأثر في تفريق المسلمين إلى شيع وأحزاب { كل حزب بما لديهم فرحون } وظلت تتطور الحزبية والعصبية ، وتتفنن في الكيد لبعضها والانتصار لآرائها وأفكارها ، حتى أيامنا الحاضرة ، و إلى ما شاء الله •

---

[1] البداية والنهاية جـ٧ صـ ١٥١ .

[2] البداية والنهاية جـ ٧ صـ ٣٦١ .

## أسباب ظهور العنف في العصر الحديث

من أبرز الظواهر الاجتماعية في العصر الحديث : ظاهرة العنف وفرض الرأي بالقوة ، والتحلل من القيم والمبادئ الدينية والاخلاقية ، وقيام صراع مادي ومذهبي واسع النطاق بين المجتمعات البشرية ، والسبب في كل هذا ٠ يرجع إلى :

١- التغيرات الاجتماعية و الفكرية و السياسية التي تتابعت خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ميلادية ٠

وكانت هذه التغييرات في جملتها ، وليدة التحول الصناعي ومرتبطة بالاكتشاف العلمي ٠

فضلاً عن التيارات الفكرية التي واكبت هذا التطور وصاحبت الصراع والحروب العالمية ، والحركات السياسية العلمية ٠

فكان لهذا كله آثار بعيدة المدى في مشاعر الإنسان وآماله ومعتقداته ، ومبادئه وقيمه ٠

كما كان له أثر في البيئة الأساسية للمجتمعات ذاتها ٠

٢- ومن أسباب العنف كذلك :

الصراع بين المذاهب الشيوعية أوالاشتراكية والرأسمالية٠ وكذلك الصراع بين العقلانية وبين الكنيسة في أوربا ٠ وما أدى إليه من تجرد من كثير من القيم ، ومن هنا حدث اختلال في القيم الإنسانية بصورة عامة ٠ أمام هذه العوامل الكثيرة التي عملت كلها على إيجاد قيم ومبادئ جديدة غير ما كانت تعتنقه الشعوب ٠

فكان هذا الخلال منطلقاً للتمرد والعنف ٠ وقاعدة لرفض كل ما تعارف عليه المجتمع ٠

٣- ومن أهم أسباب العنف في العصر الحديث :

تصارع القوى المتعددة على سيادة العالم ، مستخدمة لهذا الغرض كافة الوسائل والأساليب ٠

وأوضح هذه القوى :

قوى المعسكر الشرقي الشيوعي ، وقوى المعسكر الغربي ([1]) الرأسمالي ٠

ولم يكن للشعوب المغلوب على أمرها إلا أن تقبل نظاما من اللنظاميْن المتصارعيْن ٠

كمصر مع الغرب ، والعراق مع الشرق ٠

أو أن ترفضهما جميعا حفاظاً على دين ، أو استبقاء لاستقلال وكبرياء قوميْن ، كما في اليابان ، والسعودية قبل ولائها وخضوعها للغرب في الآونة الأخيرة ٠

## موقف مصر بالذات من هذا الصراع

كان حال مصر والمصريين منذ منتصف القرن الـ ١٩م حتى اليوم ٠ يتمثل فى حيرة بين تياريْن متعارضيْن ٠

**الأول : تيار يدعو إلى المعسكر الغربى وتقليده فى كل شئ :**

**فى الثقافة والتربية و التعليم و الاجتماع و الاقتصاد والسياسة ٠٠٠ الخ ٠**

**ويمثل هذا التيار :**

١- رفاعة رافع الطهطاوى فى كتابيْه :

- تخليص الإبريز فى تلخيص باريز : الذى ألفه فى الفترة ١٨٢٦ - ١٨٣١ فى فرنسا ٠

[1] التطرف الدينى وأبعاده صـ ٤٠٣ ٠

– ومناهج الألباب المصرية : الذى صدر عام ١٨٦٩م ٠

وفيهما يحاول تمجيد المبادئ والقيم الغربية ، وينعى على غيرها ٠

كما يحاول تطويع المسائل السياسية و الاقتصادية الاسلامية ، لمثيلاتها فـى الغرب ٠

فكان بذلك فى مقدمة هؤلاء النفر الذيـن كـانوا ( يستشـعرون ريـاح التغيـيُر من الغرب ، ويفتحون لها صدورهم ، مع أنهمم للم يرتابوا فيما تحمله من جراثيـم الإستعمار ) ([1]) ، وما فيها من مساوئ محققة على الإسلام والمسلمين ٠

ب – طه حسين الذى انبهر بعادات وتقاليد وقيم الغربيين ، وحاول تطبيقهـا بين المسلمين بكل ما أوتى من مناصب وقوى ٠ حتى قال :

( نتعلم كما يتعلم الأوربى ، لنشعر كما يشعر الأوربى ، ولنحكم كمـا يحكـم الأوربى ، ثم لنعمل كما يعمل الأوربى ، ونصرف الحياة كما يصرفها ) ([2])٠

كما يقول ( إننا فى العصر الحديث نريد أن نتصل بأوربا اتصالا يزداد قـوة من يوم إلى يوم ، حتى نصبح جزءاً منها حقيقة وشكلاً لفظاً ومعنى ) ([3])٠

كما يؤكد وجهة نظره فى ضرورة السير على منهج المعسـكر الغربـى بـأن السبيل إلـى الحضـارة والرقـى والتقدم : ( واضحـة بينـة مستقيمة لا عـوج فيهـا ولا التواء ، وهى واحدة فذة ، ليـس لهـا تعـدد ، وهـى أن نسير سيرة الأوربييـن ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً ، ونكون لهم شركاء فى الحضارة خيرها وشـرها ، حلوها ومرها ، ما نحب منها وما نكره ، ما يحمد منها وما يعاب ، ومن زعـم لنا غير ذلك فهو خادع أو مخدوع ) ([4])٠

---

[1] أدبنا المعاصر بين التغيير والاستمرار : د/ شكرى عياد صـ ٥ مجلة المجلة عدد يناير ١٩٦٩م٠
[2] مستقبل الثقافة فى مصر د/ طه حسين فقرة ٩ صـ ٤٤ – ٤٥ ٠
[3] السابق فقرة ٧ صـ ٣٥ ٠
[4] السابق فقرة ٩ صـ ٤١ ٠

وهكذا يرى أنصار هذا التيار ، ضرورة تغريب مصر فى كل شئ مادى ومعنوى ، حتى تصير مصر قطعة من أوربا ٠

التيار الثانى : يرى ضررة تمسك المجتمع المصرى خاصة ٠ والإسلامى عامة ٠ بقيمه وعقائده ، ومبادئه وتقاليده الموروثة ٠ فى الثقافة والتربية والتعليم والنظم الاجتماعية المنبثقة من دينه الإسلامى الحنيف ٠

ولكن مع الأسف الشديد !!!

فى خضم الصراع بين التياريْن المتناقضيْن ، انتصر التيار الأول الداعى إلى التغريب ، وبدأ التغيير فى مصر فى كثير من المجالات الثقافية والتربوية والاجتماعية ٠

وعليه : انزوت الشخصية العربية الإسلامية ٠ فى الثقافة والتعليم فى نطاق محدود هو الأزهر الشريف – حماه الله –

وصار للمتغربين اليد الطولى ، ومركز الصدارة فى التخطيط والتنظيم ، يساندهم كل وسائل الإعلام ، وما تزال وسائل الاعلام على هذا النهج للآن ٠

حتى أخذت هذه الوسائل تعمل جاهدة على تغيير الفكر الاجتماعى والتقاليد المصرية الاسلامية الأصيلة بما لا يتفق فى كثير من الأحيان مع عقيدة المجتمع المسلم ٠

مما أوقع المواطن العادى فى حيرة بين ما يؤمن به ، وبين ما يعايشه كرها ٠

كل هذا أيقظ فى قلوب الشباب ٠ وكثير من فئّات الشعب بوجه عام ، العاطفة الدينية ، أو الغيرة عى الإسلام الذي وعته مصر منذ دخلت فيه ، وحافظت عليه ، وقامت على نشره ٠

ثم تطور الأمر ، حتى دخلت مصر العربية الإسلامية فى حال شديدة ٠ من يتأملها يجد تيارات متناقضة ، يموج بها المجتمع المصرى ، وهذه التيارات تتجاذب الشباب سعياً لاحتوائه ٠ حتى يفقد السيطرة على نفسه ٠

فهذا غلو فى الدين ، وتشدد فى فهم أحكامه ٠

وهذا متحلل من الدين وقيمه الأخلاقية ٠

فكان لابد من مواجهة هذيين التيارين معاً ، وذلك :

بالكشف عن مدى الخطر الذي يصيب الدين نفسه ويضر الأمة كلها من جراء الفهم الخاطئ للدين ٠

أو التحلل من مبادئه السليمة ٠ وتعاليمه السمحة الصحيحة ٠

كما كان لابد من الكشف عن المفهوم الصحيح للتدين ٠ حتى يكون هذا المفهوم في صفائه ونقائه ٠ في ذاته ومصدره ٠ عامل جذب لكلا التيارين ٠ ومصححا لمسيرتهما في الحياة ([1])٠

## معنى التدين الصحيح :

التدين الصحيح هو :

الالتزام بكل أحكام الدين النظرية والعملية ، أو القولية والفعلية ، والسير على منهجها ٠ في السر والعلانية ، حتى يتمكن الإنسان المتدين بهذا الأسلوب الصحيح ٠ من تحقيق علاقة صحيحة وسليمة ٠ بينه وبين الله تعالى بالعبادة السليمة الصحيحة ٠ لقوله تعالى :

{ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ٠ ويقيموا الصلاة ٠ ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة } ([2])٠

---

[1] التطرف الديني صـ ١٣ ٠

[2] سورة البينة آية ٥ ٠

وبينه وبين نفسه ، بالاستقامة والبعد عن الانحراف • وكل ما من شـأنه أن يؤدى إلى الأمراض والمهالك • لقوله تعالى :

{ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة } ([1]) ، { ولا تقتلوا أنفسكم } ([2]) •

وبينه وبين الناس من حوله • بـالعيش فـي أمـن وسـلام ، وصفـاء ووئـام ، ومحبة وتعاون على كل ما فيه صالح الإسلام والمسلمين • لقوله تعالى :

{ وتعاونوا على البر والتقوى • ولا تعاونوا على الإثم والعدوان } ([3]) •

ولقول الرسول ﷺ :

"والذي نفسي بيده • لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"([4]) •

وبالتالي يكره لأخيه ما يكره لنفسه •

وبينه وبين الكـون مـن حولـه ، بالمحافظـة علـى البيئـة التـي يعيـش فيهـا ، صالحة نقية ، كما خلقها الله تعالى • مسخرة مذللة لجميع خلقه •

{ وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون } ([5]) •

ويبعد عن كل ما يلوثها ، أو ينشر فيها الوباء والأمراض ، وغيرهـا ، ممـا يأتي باللعنة والوبال على فاعله •

يقول رسول الله ﷺ :

" اتقوا الملاعن الثلاثة : البراز في الموارد •وقارعة الطريق، والظل ([6]) •

---

[1] سورة البقرة آية ١٩٥ •

[2] سورة النساء آية ٢٩ •

[3] سورة المائدة آية ٢ •

[4] صحيح البخاري كتاب الإيمان •

[5] سورة الجاثية آية ١٣ •

[6] سنن أبي داود جـ ١ صـ ٢٨ •

ويقول أيضا :

" لا يتبول أحدكم في الماء الدائم ، ثم يغسل منه " ([1])٠

وهذه الأحاديث الشريفة تتضمن أمر النبي ﷺ لكل إنسان ٠ أن يحافظ على الموارد العامة ٠

كما تتضمن نهى النبي ﷺ عن تلويثها ٠

وهذه الموارد العامة هى كل ما يحتاجه الإنسان فرداً أو جماعة مثل : مصادر المياه ٠ أو مصادر الغذاء ، أو أماكن التجمعات ، أو الطرق والمرافق العامة ٠٠٠ الخ ٠

وهى تمثل الكون والبيئة التي يعيش فيها الإنسان ٠

وقد أمر النبي ﷺ بالمحافظة عليها ، نظراً لأهميتها في حياة الإنسان ، والإهمال فيها يعرض الإنسان لكثير من المخاطر التي تهدد صحته وحياته ٠

وإذا حقق الإنسان العلاقة السليمة بينه وبين الله تعالى ، وبينه وبين نفسه ، وبينه وبين الناس ، وبينه وبين الكون كله ٠ يستطيع أن يعيش في حياته مطمئناً آمناً ، محققاً لكل آماله وأمانيه ٠

والتدين الصحيح الذي يحقق للإنسان كل هذا ٠ أمر مطلوب ومرغوب فيه ، ومحمود عند الله تعالى وعند الناس ، يعود بالخير والفلاح على المتدينين به ، وعلى مجتمعاتهم بأسرها ٠

كما أنه أمر يستوجب أن يؤيد ويدعم من جميع الأوساط الرسمية والشعبية بكافة السبل والوسائل ، نظراً لما يحققه من وسطية وتوازن ٠ وبهذا :

يكون التدين الصحيح أمراً وسطاً ٠ لاغلو فيه ولا تفريط ، يلتزم فيه المتدين بمبادئ الدين وأصوله السليمة الصحيحة ٠ على فهم دقيق وبصيرة نيرة ،

[1] صحيح مسلم جـ ٣ صـ ١٨٧ ٠

يستطيع بها المتدين ، أن يواجه كل مستجدات الحياة في كل عصر ومصر ، دون تطرف إلى غلو أو تفريط ،

## كيفية معالجة التطرف الديني :

التطرف الديني معناه : سوء الفهم للنصوص الدينية ، الذي يؤدى إلى التشدد في الدين وأحكامه ، أو إلى التفريط فيه ، والتجرؤ على الدين وأحكامه ،

وكلا الحالين ، أمر لا يقره الإسلام ، لأنه تطرف ينافي وسيطة الإسلام الحنيف ،

ويعالج هذا التطرف بأساليب كثيرة منها :

١- عرض أحكام الدين على أصوله الأساسية ، ومصادره الصحيحة ، ممثلة في القرآن الكريم والسنة الشريفة الصحيحة ، ومطابقتها لهما ،

٢- مداومة التوضيح لما يثار من قضايا على الساحة الإسلامية ، بالحوار المباشر مع من يثيرها ، أو بطريق الندوات والبرامج الموجهة ، في كافة وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة ،

٣- مباشرة الحوار الديني ، لابد وأن يكون من علماء الدين المتخصصين في مسائله وأحكامه، من المفسرين و المحدثين والفقهاء والدعاة الذين يمثلون الأزهر الشريف في مصر ، وفى غيرها من بلدان العالم ،

٤- كما أن الحوار الديني ، لابد وأن يكون في جو من الموضوعية والحرية ، بالقول الحسن والحجة الواضحة ،

٥- وأن يكون المباشرون للحوار المتخصصون في الدين ومسائله أتقياء ورعين منزهين عن النفاق والتزلف إلى الحكام والمسئولين ، يقولون الحق ولا يخشون فيه لومة لائم ،

٦- كما أن هؤلاء المتخصصين في الدين ، لابد وأن يكونوا أهلاً لثقة الجمهور فيهم ،

## مثال لعلاج التطرف الديني :

إن المصلح الناجح هو الذي يستفيد من تجارب الماضي ، ويأخذ العبرة والعظة من سابقيه ،

ولقد ابتليت الأمة الإسلامية في ماضيها ببعض صور التطرف ، التي كان سببها سوء الفهم لنصوص الإسلام الحنيف ،

وقد عولجت هذه الصور ، وأثر فيها العلاج، حتى استقام أمرها ، وصارت مضرب الأمثال في تاريخ الإسلام والمسلمين ، ولعل سبب تأثير العلاج في هذه الصور ،

مرجعه إلى :

أ-إخلاص المُعَالِجِ المُقَوِّمِ ، في علاجه وتقويمه ونصحه ،

ب-استعداد المتلقي -المتطرف- لقبول النصح والتوجيه ،

جـ-وجود الصحبة والبيئة الصالحة التي تعاون المتلقي -المتطرف -على الاعتدال والاستقامة ،

وقد ورد في كتب السنة الشريفة ، ما يوضح هذا كله ، ففي الصحيحين عن أنس بن مالك ﷺ قال :-

جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ ، يسألون عن عبادته ، فلما أخبروا ، كأنهم تقالوها ، أى عدوها قليلة- وقالوا :- أين نحن من النبي ﷺ ، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ،

قال أحدهم :- أما أنا فأصلى الليل ولا أرقد ، وقال الآخر :- وأنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال الثالث : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج ، فجاء رسول

الله ﷺ إليهم فقال :- أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله إني لأتقاكم لله ، وأشدكم له خشية ،لكني أصلي وأرقد ، وأصوم وأفطر . وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني ([1]) ،

وبهذا العلاج النبوي الشريف لهؤلاء النفر ،

كان العلاج لما بدا من ظاهرة التطرف لديهم ،

وكان الاقتناع وحسن الاستجابة ، منهم بالاتباع والانقياد لابالنفور والإصرار ،

وكانت البيئة الصالحة من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين تعينهم إلى قبول العلاج النبوي الشريف ،

وهكذا ، إذا توفرت هذه الأسباب الثلاثة في كل زمن وكل مكان ،

أمكن لأي مصلح أي ظاهرة من مظاهر التطرف ،

وهذا ما نأمله ونرجوه ،وهذا ما ينبغي أن يسير عليه المسلمون في العصر الحديث ، وفى كل البيئات والعصور إلى ما شاء الله تعالى ،

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الدكتور

سعيد محمد اسماعيل الصاوى

**مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية**

---

[1] صحيح البخاري : كتاب النكاح جـ١٩ صـ١٢٤ ،

مراجع البحث

١ القرآن الكريم : كلام رب العالمين ·

٢ أدب الدنيا والدين : لأبي الحسن البصري الماوردى ط دار الصحابة بطنطا بدون تاريخ ·

٣ البداية والنهاية : الحافظ ابن كثير · ط دار الفكر العربي بالقاهرة بدون تاريخ ·

٤ بيان للناس من الأزهر الشريف : الشيخ جاد الحق على جاد الحق : ط الأزهر الشريف ١٩٨٤م ·

٥ البيان والتبين : لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون · ط دار الجيل – بيروت ١٩٩٠م ·

٦ التطرف الديني وأبعاده : الشيخ جاد الحق على جاد الحق : ط الأزهر الشريف هدية مجلة الأزهر بدون تاريخ ·

٧ تفسير أبي السعود : ط دار المصحف بالقاهرة بدون تاريخ ·

٨ تفسير القرطبي : ط دار الفتح الإسكندرية بدون تاريخ ·

٩ تفسير الرازى : ط دار الفكر – بيروت ١٩٨١م ·

١٠ الحسن والحسين : أحمد الشهاوى · ط دار التأليف – القاهرة ١٩٧٨م·

١١ الحياة الوجدانية والعقيدة الدينية : د/ محمود حب الله · ط الحلبي بمصر ١٩٤٨م ·

١٢ الدعوة الإسلامية : أصولها ووسائلها : د/ أحمد غلوش · ط دار الكتاب المصري بالقاهرة ١٩٧٩م ·

١٣ الدعوة الإسلامية في عهدها المكي : د/ رؤف شلبى · ط دار العلم بالكويت بدون تاريخ ·

١٤ رجال الفكر والدعوة في الإسلام : أبو الحسن الندوى ٠ ط دار القلم بالكويت ١٩٨٩م ٠

١٥ رياض الصالحين : الإمام أبى زكريا يحيى بن شرف النووي ٠ ط دار الكتاب العربي ببيروت ١٩٧٣م ٠

١٦ سنن أبى داود : أبو داود سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى ٠ ط دار الحديث بالقاهرة بدون تاريخ ٠

١٧ السيرة الحلبية : الإمام نور الدين الحلبي ٠ ط الحلبي بمصر بدون تاريخ٠

١٨ صحيح البخاري : ط الحلبي بمصر بدون تاريخ ٠

١٩ صحيح مسلم : ط المطبعة المصرية ومكتبتها بالقاهرة ١٩٢٤م ٠

٢٠ صحيح الترمذى : ط دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٨م ٠

٢١ فقه الدعوة والإعلام : د/ عماره نجيب ٠ ط القاهرة بدون تاريخ ٠

٢٢ فن التعامل مع الناس : د/ عبد الله الخاطر ٠ ط دار المروة بالإسكندرية ١٩٩٤م٠

٢٣ القسطاس المستقيم : حجة الإسلام الغزالى ٠ ط مكتبة جعفر الحديثة بالقاهرة بدون تاريخ ٠

٢٤ مستقبل الثقافة في مصر : د/ طه حسين ٠ ط دار المعارف بمصر ١٩٤٥م ٠

٢٥ المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية ٠ ط دار المعارف بمصر ١٩٨٠م٠

٢٦ مقدمة ابن خلدون : ط دار مكتبة الهلال - بيروت ١٩٨٣م٠

٢٧ الملل والنحل : الشهرستانى ٠ ط الحلبي بمصر بدون تاريخ ٠

٢٨ مهمة الإسلام في العالم : محمد فريد وجدي ٠ ط الأزهر الشريف ١٩٨٩م٠

٢٩ الموطأ : للإمام مالك ٠ ط الحلبي بمصر بدون تاريخ ٠

٣٠ هداية المرشدين : الشيخ على محفوظ ٠ ط دار الاعتصام بمصر ١٩٧٩م٠



رقم الإيداع بدار الكتب
٦٢٩٩ - ينايـر ١٩٩٦م
مكتبة الأزهر الحديثة بطنطا
أمام فرع جامعة الأزهـر